

رسالة التربية وعلم النفس، ع (٢٢)، ص ص ١٣٥ - ١٨٢، الرياض (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)

آراء الإمام البخاري التربوية في "كتاب العلم" - في صحيح البخاري -

عبد الرحمن عبد الخالق حजर الغامدي

أستاذ مساعد ، قسم التربية ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية

ملخص الدراسة: هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أبرز العوامل التي أهلت الإمام البخاري بأن يلقب بإمام المحدثين وبأمر المؤمنين في الحديث ، وعن الآراء التربوية التي أودعها في كتابه الجامع الصحيح "كتاب العلم" ، الذي يعد ثاني كتاب في تراث الأمة الإسلامية بعد القرآن الكريم ، وعن كيفية الاستفادة منها في مجال التربية والتعليم في وقتنا الحاضر .

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي (المنهج الوثائقي) وذلك بجمع الحقائق والمعلومات التي أوردها البخاري في "كتاب العلم" ثم استنباط ما تحمله من مدلولات تربوية ، ثم تصنيفها وتبويبها حسب الموضوعات المتعارف عليها لدى علماء التربية المعاصرين . هذا وقد كشفت الدراسة أن الإمام البخاري أول عالم من علماء الأمة الإسلامية أفرد كتاباً مستقلاً في مجال التربية والتعليم ، اسماء "كتاب العلم" ، فهو أول من أسس مبادئ التربية الإسلامية على أحكام شرعية وقواعد فقهية . وقد تضمنت أبوابه التي أشتهر بها البخاري عن غيره من المحدثين ، والتي أودعها في "كتاب العلم" آراءً تربوية متميزة ، وكانت تلك الآراء في غالبيتها قد سبقت الفكر التربوي المعاصر ، وقد صنف الباحث تلك الآراء التي استنبطها من أبواب البخاري تحت عدد من الموضوعات ، وهي ؛ فضل العلم ، وأهداف التربية والتعليم ، ومبادئ التربية ، وأساليبها ، والنظام ، والأمانة العلمية ، وأماكن التعلم والتعليم المرأة . وقد بين الباحث كيفية الاستفادة من تلك الأفكار التربوية في وقتنا الحاضر .

الفصل الأول

مدخل عام للبحث

أولاً: المقدمة:

ظهر في هذه الأمة أئمة وعلماء حفظوا للأمة الإسلامية دينها وتراثها، وأسهموا إسهامات إيجابية وفعالة في شتى مجالات المعرفة؛ ومن هؤلاء الإمام البخاري، الذي أفنى حياته في طلب العلم وخدمته، وقد وفقه الله في ذلك، ومنحه قدرات فائقة أهلتته بأن يلقب بإمام المحدثين وبأُمير المؤمنين في الحديث [٣٠، ص ١٠]. وقد أهدى لهذه الأمة الإسلامية كتابه "الجامع الصحيح"، الذي يعتبر ثاني كتاب في تراثنا الإسلامي بعد القرآن الكريم من حيث الصحة [٣٠، ص ١٠]. ولا يزال هذا الكتاب موضع تقدير وإعجاب العلماء المسلمين حتى وقتنا الحاضر، كما لا يزال محط أنظار عدد من الشراح والمحللين.

ومحاولة الباحث المتواضعة في هذا البحث هي عملية تقليدية لمن سبقه في شرح صحيح البخاري، ولكن الباحث حاول أن يقدم شيئاً جديداً ألا وهو استنباط الآراء التربوية من النصوص التي أودعها الإمام البخاري في صحيحه "كتاب العلم". وقد يقول قائل: بأن الإمام البخاري محدثاً وليس تربوياً. فنقول له: إذا كانت التربية لا تعدو عن كونها عملية إصلاح حياة الفرد والجماعة [٣٦، ص ١٣]، وإذا كان عمل المحدث أو الفقيه أو الإمام ينصب في المقام الأول على إصلاح حياة الفرد والجماعة، متخذاً الجانب الديني مرتكزاً أساسياً في هذا الإصلاح، فإنه يخطئ من يظن أن المحدث أو الإمام أو الفقيه ليس مربياً، ومتى وصل طالب العلم إلى هذه الدرجة فمن باب أولى أن يطلق عليه مربياً، ولكن ليس كل مرب يستطيع أن يصل إلى درجة الإمام أو المحدث أو الفقيه. ولهذا فإن علماء أهل الحديث والفقه أكبر فئات الفكر الإسلامي إسهاماً في التعليم، وبالتالي هم الذين أسسوا مبادئ التربية

الإسلامية على أحكام شرعية وقواعد فقهية ، وعملوا بكثرة في ميادين التربية والتعليم ، وكان لعدد منهم بعض الكتابات التربوية(*) .

هذا بالإضافة إلى أن الإمام البخاري قد زاول مهنة التربية والتعليم ، فقد قرأ التاريخ والجامع الصحيح على من يرغب التزود بالعلم [٣٠] ، ص ٢٥. كما أن حياة الإمام البخاري وطريقة تعلمه تعتبر منهجاً يحتذى به في طلب العلم والمعرفة.

ثانياً - مشكلة البحث :

إن للأمة الإسلامية شخصية متميزة ورسالة سامية ومصادر قيمة ، وقد سطر التاريخ لهذه الأمة عصراً زاهراً ومجداً تليداً. واليوم أصبحت - مع الأسف - أمة الإسلام في مؤخرة الأمم ، وما ذلك التأخر إلا أنها فرطت في مصادرها وتراثها المجيد قولاً وعملاً. فمشكلة الأمة الإسلامية ليست عتاداً وعدة ، وإنما تكمن في نظامها التربوي ، والتي استعانت في وقتنا الحاضر بنظم تربوية مستوردة ، وهذه النظم لن تخدم بالدرجة الأولى إلا قيم وعقائد ونظم واضعها ، وكان لزاماً علينا نحن معشر المربين أن نستقي نظمنا التربوية من مصادرها الأساسية ، وما هذا البحث المتواضع إلا جزءاً يسيراً في علاج مشكلتنا التربوية.

من العرض السابق تتلخص مشكلة البحث في؟

ما الآراء التربوية للإمام البخاري في كتاب العلم - في صحيح البخاري؟

(*) ومن بينهم : الإمام محمد بن سحنون (ت ٢٥٦) ، صاحب كتاب "آداب المعلمين والمتعلمين" ، وقد أجمع عدد من الباحثين بأنه أول مؤلف تربوي مستقل ١٢ ، ص ١٣٠٥. بينما يرى الباحث بأن كتاب "العلم" في صحيح البخاري هو أول مؤلف تربوي وذلك بالنظر إلى تواريخ حياة الإماميين ومن بين الفقهاء أيضاً الذين كتبوا في ميادين التربية : الفقيه القابسي (ت ٤٠٣) صاحب كتاب "أحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" ، والفقيه ابن عبد الرب صاحب كتاب "جامع بيان العلم وفضله" الذي يعد من بين كتب التربية الإسلامية النفيسة ، وغيرهم من الفقهاء.

ثالثاً - أهداف البحث :

هدف البحث إلى النقاط التالية:

- ١- الحديث عن حياة الإمام البخاري ، وأعماله ، وأهم العوامل التي أثرت فيه .
- ٢- استنباط أهم الآراء التربوية التي حوتها تراجم البخاري في كتابه "العلم" .
- ٣- كيفية الاستفادة من تلك الآراء التربوية في وقتنا الحاضر .

رابعاً - أهمية البحث :

- ١- يعد الإمام البخاري أكبر من خدم السنة ، ومن الذين أسسوا مبادئ التربية الإسلامية على أحكام شرعية وقواعد فقهية ، وبالتالي ستسهم آراؤه التربوية في تأصيل التربية .
- ٢- والباحث المتأمل في عناوين الأبواب التي أودعها البخاري في كتابه "العلم" يجد فيها من المعاني التربوية ومدلولاتها ما لم يسبقه غيره من المحدثين ، ولهذا فإن عبقرية البخاري ، ومستواه العلمي ، وتبحره في علم الحديث تكمن في أبوابه (تراجمه) التي أودعها في صحيحة. وبالتالي تكمن أهمية هذا البحث في كونه يتناول آراء أول كتاب في مجال التربية والتعليم.
- ٣- للتربية الإسلامية فلسفتها الخاصة ، وتستند هذه الفلسفة على الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ثم آراء الأئمة والعلماء المسلمين الذين نقلوا إلينا الشيء عن مربي هذه الأمة محمد ﷺ وأهمية فهم الأمة الإسلامية فلسفة تربيتها فهماً صحيحاً أصبح ضرورة ملحة يتطلبها عصرنا المعاصر ، نظراً لما تتعرض له الأمة الإسلامية من حملات غربية حول تعديل أنظمتها التربوية. ويعد من الخطر الجسيم على أي مجتمع من المجتمعات تطبيق نظاماً تعليمياً مستورداً ، يقول أحد أساتذة أمريكا الدكتور

"كونانت" : "إن عملية التربية ليست عملية تعاط وبيع وشراء ، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل ، إنما في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنجليزية والأوربية إلى بلادنا الأمريكية" [٤٠] ، ص ١٥٨ ، فإذا كان هذا هو حال أمتين تدين بدين واحد ولغة واحدة ، فكيف بنا نحن المسلمين الذين لا تنفق معهم في الدين ، ولا اللغة ، ولا العادات والتقاليد والقيم ، كيف نرضى بتطبيق نظمهم التربوية.

خامساً — أسئلة البحث :

أجابه البحث عن الأسئلة الآتية:

- ١- كيف كانت حياة الإمام البخاري ، وما العوامل التي أثرت فيه والتي جعلته يصل إلى هذه المنزلة العلمية الرفيعة؟
- ٢- ما أهم الآراء التربوية التي يمكن استنباطها من تراجم (أبواب) الإمام البخاري في كتابه "العلم" في صحيح البخاري؟
- ٣- كيف يستفاد من تلك الآراء التربوية في وقتنا الحاضر؟

سادساً — حدود البحث:

اقتصر هذا البحث على نبذة مختصرة عن حياة الإمام البخاري وعن العوامل التي أثرت في حياته ، وعن أهم الآراء التربوية التي أودعها في تراجمه "أبوابه" في كتابه العلم .

سابعاً — منهج الدراسة:

لقد استخدم الباحث المنهج التاريخي (المنهج الوثائقي) ؛ وذلك بجمع الحقائق والمعلومات التي أوردها الإمام البخاري في كتابه العلم ، كما استخدم الباحث المنهج الاستنباطي ؛ وذلك باستنباط الآراء والأفكار التربوية في ضوء المفاهيم

التربوية المعاصرة ، ثم ترتيبها وتصنيفها [٢٧ ، ص ١٧٣] . حسب الموضوعات المتعارف عليها لدى علماء التربية المعاصرين .

الفصل الثاني

الإمام البخاري وعصره الذي عاش فيه

أولاً- نسب الإمام البخاري وحياته:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف يزُده الجُعفي بالولاء [٨ ، ص ١٨٨] ، ولد سنة ١٩٤ هـ . وكان والده تقياً عالماً ، ذا سعة في الرزق ، اشتغل بعلوم السنة ، وقد خرج حاجاً قبل سنة ١٧٩ هـ ، وزار المدينة ولقي فيها مالكا [٨ ، ص ١٩٠] . نشأ محمد في كنف أمه وصحبة أخيه أحمد ، لأن والده توفي وهو صغير ، وقد التحق بالكتاب لطلب العلم ، وحفظ الحديث وهو ابن عشر سنين [٤١ ، ص ١٦] ، وفي عام ٢١٠ هـ خرج حاجاً مع أمه وأخيه ، وبعد أن أدى فريضة الحج مكث بالحجاز ستة أعوام رغبة في طلب العلم ، ثم ارتحل إلى بلاد عديدة ؛ منها الشام ومصر والبصرة والكوفة ، ثم عاد إلى نيسابور ، واستقبل استقبال حفاوة وتكريم ، وازدحم الناس عليه ، ولكن حساده وعلى رأسهم محمد بن يحيى الذهلي دبّروا له المكيدة والمؤامرة واتهموه في مسألة اللفظ بالقران [٣٠ ، ص ١٢٣] . ونظراً لمكانة الذهلي بخراسان وخشية من وقوع الشر غادر البخاري نيسابور إلى بخارى ، واستقبله عامة أهل البلد ومكث مدة بها إلى أن وقع بينه وبين الأمير خلاف ، وذلك بسبب طلب الأمير منه بأن يحضر منزله ويقرأ التاريخ والجامع على أولاده ، وامتنع من ذلك لأنه لا يريد أن يخص بالسماع قوماً دون آخرين ، فنفاه عن البلد فخرج إلى بيكند وأقام أياماً فمرض بها حتى مات سنة ٢٥٦ هـ [٣٠ ، ص ١٦] .

ثانياً: العوامل التي ساعدت الإمام البخاري:

١- عاش الإمام البخاري في أسرة تؤمن بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام ديناً ، وبهذا تربي في أسرة إسلامية منذ ولادته .

٢- التحاقه بالكتاب لطلب العلم ، وقد تولّع بقراءة القرآن الكريم ، وكان في رمضان " يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن ، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة [٤] ، ص ١٢] .

٣- تنقلاته إلى بلدان العلم والمعرفة ، وقد ارتحل - كما أشار الباحث سابقاً - إلى الحجاز والشام ومصر والبصرة والكوفة ، وكان يوجد بهذه البلدان التي زارها عدد من المدارس الفقهية واللغوية .

٤ - اتصاله بعدد من الأئمة والمحدثين والعلماء شخصياً أو عن طريق كتاباتهم ، فقد تأثر بكتابات عبد الله بن المبارك ، كما تأثر بأفكار الأئمة الأربعة ، و قد جالس الإمام أحمد بن حنبل وتردد عليه كثيراً ، كما تأثر البخاري بأستاذه /إسحاق بن راهويه ، وإليه يعود الفضل في توجيه البخاري بتصنيف كتابه المشهور "الجامع الصحيح" [٤] ، ص ٢٢] .

٥- قدرته على الحفظ والاستنباط ، منح الله الإمام البخاري قدرة فائقة في الحفظ ، وظهرت هذه القدرة في البخاري منذ الصغر ، فعندما سُئل كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث ؟ قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب . قيل لي : وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ قال : عشر سنين أو أقل . [٤] ، ص ٦] . وقد قدّم علماء بغداد للإمام البخاري مائة حديث قد قلبوا متونها وأسانيدها ، بقصد امتحان حفظه للأحاديث ، فنجح بذلك واستطاع أن يعيد مائة حديث دفعة واحدة عن ظهر قلب بعد أن ردّ كل متن إلى إسناده وكل إسناده إلى متنه ، واعترف أهل بغداد بفضله

وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية ، وأقروا له بالحفظ (٨ ، ص ١٨٩) ويقول ابن بشار : "حفاظ الدنيا أربعة ؛ أبو زرعة بالرى ، ومسلم بن الحجاج بنيسابور ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى " [٤] ، ص ١١٦ ، وقد حفظ الإمام البخاري ثلاثمائة ألف حديث بأسانيدھا [٣٠] ، ص ٢٩٥ . [١] ، وقد عرف مولد أكثر الصحابة والتابعين الذين روى لهم ووفاتهم ومساكنهم . وقد انتقل من مرحلة الحفظ إلى مرحلة الاستنباط والاستدلال والاجتهاد ، وقد أودع في كتابه الصحيح عدداً من القضايا التي اجتهد فيها مدعماً ذلك بالدلائل التي يراها مناسبة من السنة . قال النووي : " لم يعقد البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط بل أراد الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادھا " [٣٠] ، ص ١١٧ .

ثالثاً مؤلفاته:

لقد كانت السنة ممزوجة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وغيرهم في الفترة السابقة لحياة الإمام البخاري ، ثم قام البخاري بعمل جليل حيث قام بجمع الأحاديث وتصنيفها وتبويبها ، فهو أول من صنف في الصحيح [٣٠] ، ص ١٦ . وقد اتخذ منهجاً علمياً في منهجه الصحيح ، فكان يعتمد على الرواية وصحة السند ، وعنى به عناية فائقة . وقد مكث (١٦) عاماً في عمل دؤوب في الجامع الصحيح ، وقد بلغ عدد الأحاديث التي جرد منها الصحيح (٦٠٠) ألف حديث ، وحوى جامعه (٩٠٨٢) حديثاً بما في ذلك المكرر ، وأودع فيه (٣٥٥٣) باباً (ترجمة) . كما أن البخاري لم يقتصر على سرد الأحاديث كغيره من المدونين السابقين لأحاديث رسول الله ﷺ ، وإنما امتاز عنهم بالاستنباط ، وأودع الشيء الكثير من اجتهاداته المدعمة بالأدلة من القرآن والسنة ، واستخرج بفهمه العميق من المتون معانٍ كثيرة فرّقها في أبواب كتابه [٣٠] ، ص ١١٦ . وأصبح أصح الكتب بعد القرآن الكريم ،

وصار جامعه محط أنظار العلماء والمحدثين تناولوه بالشرح والتفسير ، وبلغ عدد رواة الجامع الصحيح تسعون ألفاً^[٨] ، ص ١٩ ، ومن أشهر شروح كتاب البخاري وأوسعها هو "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني . وقال الكثير من علمائنا : "بأن شرح كتاب البخاري دين على الأمة"^[٩] ، ص ١٩ ويعد كتاب العلم من صحيح البخاري من أهم كتبه الذي أورد فيه عدداً من القضايا المتعلقة بالتربية والتعليم ، وقد حوى هذا الكتاب (٥٣) باباً ؛ أي بمعنى أن البخاري قد ناقش في كتابه العلم (٥٣) قضية . وللبخاري عدد من الكتب منها ؛ الأدب المفرد في الحديث . أسماء الصحابة . الأسماء والكنى . بر الوالدين . التاريخ الصغير . التاريخ الكبير . تفسير القرآن . ثلاثيات في الحديث . الجامع الصحيح كذا . الجامع الصغير كذا . الجامع الكبير كذا . خلق أفعال العباد . العوالي في الحديث . كتاب الأشربة . كتاب الرقاق . كتاب السنن في الفقه . كتاب الضعفاء . كتاب الفوائد . كتاب القراءة خلف الإمام . كتاب الوجدان . كتاب الهيئة . المبسوط في الحديث وغير ذلك^[١٠] ، ص ١٦.

رابعاً: العصر الذي عاش فيه البخاري:

يمثل العصر الذي عاش فيه الإمام البخاري والذي زار فيه عدداً من الأقطار العربية والإسلامية قمة ما وصلت إليه الثقافة الإسلامية لأن ذلك كان في العهد العباسي الأول . حيث ازدهر النشاط العلمي حول العلوم الدينية والدنيوية ، ونشأت فرق ومذاهب واتجاهات في كل علم شرعياً كان هذا العلم أو طبيعياً ، وتنافست الفرق فيما بينها كل في مجال تخصصه وكونوا ما يعرف بالفريق البخاري في وقتنا الحاضر ، وظهر مئات العلماء في كافة العلوم ، حملوا رسالة العلم والتعليم ، وظهرت آلاف الكتب والمصنفات ، وقد أسهم علماء الأمة الإسلامية في تلك الحقبة بمراجعة وتصحيح الأخطاء التي اكتشفوها في الحضارات الأجنبية ، وقاموا بإضافات

رائعة في كافة العلوم ، بل ابتكروا علوماً جديدة [٢٩ ، ص ١٠٦] كما نشطت الفرق الإسلامية ، فنشط علماء السنة في هذه الفترة ، وظهرت المذاهب الفقهية ومن أشهرها ؛ (المالكي ، والحنفي ، والشافعي ، والحنبلي) ، ونشطت أيضاً فرق الشيعة ، والجبرية ، والمعتزلة وغيرها من الفرق ولقد أوجدت هذه نوعاً من النشاط الفكري ، واختلاف الرأي ، ولعل محنة خلق القرآن لـهي أكبر شاهد ، فقد أصابت آثار هذه المحنة بعض علماء الأمة الإسلامية وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل الذي سجن وضرب بالسياط [٣٢ ، ص ١٠٢] ، كما لحقت أضرارها بالإمام البخاري نفسه في مدينة نيسابور.

الفصل الثالث

آراء الإمام البخاري التربوية في كتاب العلم ، والاستفادة منها

أولاً- رأيه في فضل العلم :

باب فضل العلم [٢ ، ص ٢١] ، بدأ البخاري بالنظر في فضل العلم قبل النظر في حقيقته ومفهومه ، وذلك جرياً وراء الأسلوب المتبع في الكتابة عند العرب قديماً وهو البدء بفضيلة المطلوب للتشويق إليه إذا كانت حقيقته مكشوفة معلومة [٢٨ ، ص ١٤١] ويستدل البخاري على هذا الباب بقوله تعالى : " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " (المجادلة : ١١) . وأن الله يرفع المؤمن العالم على المؤمن غير العالم ، ورفعة الدرجات تدل على الفضل كما " تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت ، والحسبة في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة " [٢٨ ، ص ١٤١] .

فالإسلام قد أكد أهمية المعرفة والعلم ورفع من قيمتهما وشأنهما بمالم يؤكد ويرفعه أي دين آخر ، والشاهد على ذلك أن أول آية نزلة على مربي هذه

الأمة محمد ﷺ تحت على القراءة والتعلم ، قال تعالى " إقرأ باسم ربك الذي خلق " (العلق : ١).

ويعد مربّي هذه الأمة محمد ﷺ ، أول مؤسس حركة تعليمية ظهرت في جزيرة العرب ، وكان الهدف الأول من هذه الحركة هو تفهم تعاليم الإسلام بصورة واضحة ، ثم إصلاح حال مجتمعه لأن الحركات الإصلاحية الهادفة تولي العلم أهمية بالغة . فالعلم هو أساس الحضارة والتقدم والرفي .

والعلم في الإسلام كما أورده ابن حجر هو : " العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته ، والعلم بالله وصفاته ، وما يجب له من القيام بأمره ، وتنزيهه من النقائص " [٢٨ ، ص ١٤١] . فالعلم الذي يشيد به الإسلام ويدعو إليه ؛ هو العلم بمفهومه الشامل ، فالقرآن الكريم دعا إلى النظر في مظاهر الوجود ومظاهر الحياة ، كما دعا إلى دراسة الكائنات الحيّة والنباتات والجمادات ، وإلى بدائع صنع الله في هذا الكون ، وكل المعارف التي تؤدي إلى خير الإنسان وخير المجتمع .

والإمام البخاري لم يعرف العلم وإنما بيّن فضله وأهميته ، وذلك اعتقاداً منه أنّه في غاية الوضوح فلا يحتاج إلى تعريف ، وقال : " هو أبين من أن يبين " [٢٨ ، ص ١٤١] .

ثانياً- رأيه في أهداف التربية والتعليم :

١- باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين [٢ ، ص ٢٥] . يرى الإمام البخاري في هذا الباب بأن معرفة الإنسان أمور دينه من أهداف التربية والتعليم لقول رسول الله ﷺ : " من يرد الله به خيراً يفقه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله " [٢ ، ص ٢٥] .

وذكر ابن حجر بأن كلمة فقه ، تأخذ عدة معاني ؛ يقال فقه بالضم إذا صار الفقه له سجية ، وفقه بالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم ، وفقه بالكسر إذا فهم [٢٨ ، ص ١٦٥] .

فالتفقه في الدين من أهم الأهداف العامة للتربية الإسلامية ، ويتحقق هذا الهدف يتحقق تحقيق هدف ما صرح به الحق سبحانه وتعالى في قوله : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " (الذاريات : ٥٦) بمعنى أن العبادة الصحيحة نتاج التفقه في الدين ، ويعد تبصير الأمة بأمور دينها مطلباً أساسياً تسعى الدول الإسلامية إلى تحقيقه ، وخاصة في هذا العصر الذي شوّه فيه صورة الإسلام الحقيقية ومفاهيمه الصحيحة ، وأصبح يكال له التهم والظعن والتشكيك فيه من كل حذب وصوب ، وأخذ مفهوم الإسلام يفسر حسب الأهواء والمصالح والأيدولوجيات الأخرى ، ونتج عن ذلك هذا الوضع الخطير الذي يهدد أمن الأمة الإسلامية وحياتها . ولهذا فإن من أهم غايات التعليم في المملكة العربية السعودية هو " فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملأً وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها وتزويد الطلاب بالقيم والتعاليم الإسلامية " [٦ ، ص ٢٨] .

٢- باب قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب [٢ ، ص ٢٧] . يفهم من هذا أن الإمام البخاري يرى أن تعلّم كتاب الله هدفاً أساسياً من أهداف التعليم ، ونلاحظ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين هذا الهدف والهدف السابق ذكره ، ويعد فهم كتاب الله وفهم تعاليمه شرطاً أساسياً للحياة الهانئة ، ففيه الخير كل الخير وفيه الصلاح والنجاح في الدارين الأولى والآخرة ، لقول رسول الله ﷺ : " وأني قد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله " [١٠ ، ص ٥٦] . فالقرآن الكريم هو المصدر الأول لجميع الأحكام العملية ، وجميع الأنظمة التي تطبق في المجتمع الإسلامي ، سواء كانت أنظمة اجتماعية ، أو أنظمة اقتصادية ، أو أنظمة سياسية ، أو أنظمة

عسكرية ، أو أنظمة تربوية ... الخ . وصدق الله حين يقول : " ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء " (النحل : ٨٩) . فما من نظام يتعلق بحياة الفرد أو الجماعة إلا ونجد القرآن الكريم يبين لنا قواعده وأساسه ومبادئه ، وترك للعقل البشري الاجتهاد في بعض جزئياتها وبعض تفاصيله لكي يتفق مع متغيرات العصر ومستجداته .

٣- باب الاغتباط في العلم والحكمة [٢ ، ص ٢٦] ، ويفهم من هذه الترجمة أن الإمام البخاري يعتبر إتياء الحكمة هدفاً من أهداف التربية الإسلامية ، ويستدل على ذلك بحديث رسول الله ﷺ ، قال : " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها " [٢ ، ص ٢٦] . وكانت الحكمة هدفاً من أهداف مربّي هذه الأمة محمد ﷺ لأصحابه ، كما في قوله تعالى : " هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " (الجمعة : ٢) . يقول أحد الباحثين [٣٢ ، ص ٥٠] : إنه تنوع معاني كلمة الحكمة حسب استعمالها في القرآن والحديث بتنوع المهارات والوظائف العقلية والنفسية التي ينبغي على الإنسان أن يمارسها في هذه الحياة ؛ فهي تأتي بمعنى " العبرة " كما في قوله تعالى : " ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر ، حكمة بالغة فما تغني النذر " (القمر : ٥٤) ، وتأتي بمعنى " الإتيان " ، قال تعالى : " آلر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " (هود : ١) ، وبمعنى " الحلول المناسبة " ، قال تعالى : " ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون " (الزخرف : ٦٣) ، وبمعنى " القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب والنافع والضار " ، قال تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ، يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً " (البقرة : ٢٦٩-٢٦٨) ، وتأتي بمعنى " الفهم والمعرفة

" قال تعالى : " ولقد آتينا لقمان الحكمة " (لقمان : ١٢) ، وتأتي بمعنى " صواب الرأي وحسن النظر في الأمور ، جاء في الحديث : " لا حسد إلى في اثنتين ؛ رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها " [٢ ، ص ٢٦] وهو الحديث الذي أخذ البخاري ترجمة هذا الموضوع منه .

فالْحِكْمَة من الأهداف الهامة التي تنشدها التربية الحديثة في وقتنا الحاضر ، يقول أحد الباحثين : " إن من أكبر أغراض التربية تعليم الأجيال كيف يستخدمون تفكيرهم في شق الطريق أمامهم في الحياة " [٢٦ ، ص ٢٦٨] .

من العرض السابق يتضح أن الأهداف التربوية التي استنبطت من بعض أبواب الإمام البخاري تعد من أهم الأهداف الأساسية التي تسعى المجتمعات الإسلامية إلى تحقيقها ، لأنه مامن أمة إسلامية إلا وهي تنادي بغرس العقيدة الصحيحة في نفوس الناشئة ، ومع الأسف الشديد ظلت تلك الأهداف شعارات تردد دون أن ترسم لها الإجراءات الواجب عملها في مؤسساتنا التعليمية ، وأن سبب تأخر الأمة الإسلامية - في هذا العصر - وضعفها وانحطاطها يكمن في عدم تحقيقها تلك الأهداف ، بعد أن كانت الدولة الإسلامية أكبر دولة عرفها التاريخ فقد امتدت رقعتها من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي ووسط أوروبا غرباً ، ومن وسط آسيا الصغرى شمالاً إلى السودان والصحراء الكبرى في أفريقيا جنوباً وما ذلك إلا نتيجة تطبيق أسس العقيدة تطبيقاً سليماً في ميادين الحياة المختلفة .

وأخيراً فإن هذه العقيدة تهدي الإنسان إلى طريق الخير في الحياة وتحقق له السعادة في الدارين ، وليس هذا هو هدف الإسلام فحسب بل هو هدف الرسالات السابقة أيضاً [٤٢ ، ص ٤٨]

ثالثاً: رأيه في مبادئ التربية:

(١) باب فضل من عِلِّمَ وعِلِّمَ [٢، ص ٢٠] ، ويُستدل بهذا الباب على مبدأين يقصدهما الإمام البخاري ، وهما :

أ. مبدأ وجوب التعلّم والسعي من أجله من قبل المتعلّم ، فطلب العلم في الإسلام فريضة دينية ، وقد جعل الإسلام المرأة والرجل في المقام نفسه من حيث طلب العلم ، لقول رسول الله ﷺ : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " [٣٣، ص ٨١] وشجع الإسلام على التعلّم وجعله من الأعمال التي يؤجر عليها فاعلها ، وهو من أفضل الأعمال ، ويستدل البخاري على ذلك بقول رسول الله ﷺ : " من سلك طريقاً يطلب به علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة " [٢، ص ٢٥] . فالتعليم هو السبيل الأمثل نحو تحقيق تقدّم الأمة دينياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وفي كافة مجالات الحياة . وقد أخذت بعض الدول المتقدمة كما أشار أحد الباحثين [٢٠، ص ٣٧١] ، بالزامية التعليم فيها ، وهذا يدل على أنها أدركت فضل ما سبق إليه الإسلام .

ب. مبدأ وجوب التعليم من قبل العلماء ، ويستدل البخاري على هذا المبدأ والمبدأ السابق بقول رسول الله ﷺ : " مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعِلِمَ وعِلِّمَ ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به [٢، ص ٢٨] .

فالإسلام حثّ على نشر العلم وتعليم الناس ؛ لينتشر العلم بينهم وتعم فائدته ، كما حذر من كتم العلم النافع ، وخاصة العلوم الشرعية التي بينها الله

للناس ، قال تعالى : " إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون " (البقرة : ١٥٩) .

ومتى استقر الإيمان بوجوب التعلّم والتعليم ، وأيقن كل فرد أن دينه لا يستقيم إلا إذا تعلّم ثم عمل بعلمه وأسهم في نشر العلم ، لم يعد الناس عندئذٍ بحاجة إلى من يلزمهم بإرسال أولادهم إلى المدارس [٣٩، ص ٢٠٧-٢٠٨]

٢- باب ما جاء في العلم وقول الله تعالى : " وقل ربّ زدني علماً " (طه : ١١٤) ، ويمكن أن يستنبط من هذا الباب مبدأ يعبر عنه التربويين المحدثين " بالتربية المستمرة " ، لأن الاستزادة تستلزم الاستمرار في طلب العلم مدى الحياة . وروى ابن قتيبة أنه قال : " لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل " [٣٤، ص ٢٦٩] ، وفي هذا حض صريح على التزام مراجعة العلم وتعهده مدى الحياة ، قال رسول الله ﷺ : " تعاهدوا هذا القرآن فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد ثقلًا من الإبل في عقلها " [٣٩، ص ١٩٥] . وبتطبيق هذا المبدأ تنمو العلوم ، وتكثر الاختراعات والاكتشافات ، وتوجد الحلول الملائمة والموافقة بين تطور ظروف الحياة والتعامل مع الناس وبين ثوابت الإسلام وأأسسه .

(٣) باب العلم قبل القول والعمل ، ويستدل البخاري على هذا الباب بقوله تعالى : " فاعلم أنه لا إله إلا الله " ، وأراد بهذا الباب أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به ، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل . [٢٨، ص ١٦٠] ويفهم من هذا الباب أن العلم مطلب أساسي لصحة العمل ، ويفهم منه أيضاً مبدأ من المبادئ الهامة في التربية الإسلامية ألا وهو " الربط بين العلم والعمل به " ؛ أي ربط المعلومات النظرية بالتطبيق والممارسات العملية ، فلا قيمة لمعرفة أو نظرية أو إيمان لا يتبعه عمل بمقتضاه ، ومن الآيات المؤيدة لهذا المبدأ ، قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن

تقولوا مالا تفعلون" (الصف: ٣٠٢) ، ولهذا فقد تعود الرسول من العلوم والمعارف التي لا يستخدمها الفرد ولا ينتفع بها في حياته ، فقال : "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع" [١٦ ، ص ٤٨٠] . وفي نظر الباحث أن تربية الأجيال في وقتنا الحاضر تفتقر إلى الممارسة العملية أكثر من افتقارها إلى المعرفة نفسها ، فمؤسساتنا التعليمية تهتم بحشو أذهان الطلاب بالمعارف ولكن قد يتعذر على معظمهم تطبيقها في حياتهم العملية وهذا قصور في مدارسنا وتأخر في تنمية مجتمعاتنا . وقد تنبه علماء الغرب لهذه القضية ، ولعلّ "جون ديوي" الذي يعد من رواد التربية الحديثة ، خير من تناول هذا الجانب بإيضاح ، حيث يقول "فالتلف أو الضياع الكبير في التربية متأت من عجزه - أي الطالب - عن الانتفاع بما يكتسب من الخبرات خارج محيط المدرسة انتفاعاً تاماً وحرراً يجري داخل المدرسة نفسها . وهو في الوقت ذاته يرى نفسه عاجزاً عن استعمال ما يتعلمه من المدرسة في حياته اليومية . وهذه هي عزلة المدرسة ، إنها انعزال عن الحياة" [١١ ، ص ٨٣] .

(٤) باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا وقال علي حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله [٢ ، ص ٤١] ، ويستنبط من هذا الباب مبدأ "مراعاة الفروق الفردية" أي أن الناس يتفاوتون في قدراتهم واستعداداتهم وميولهم ورغباتهم . وهناك عدد من الآيات القرآنية المؤكدة على وجود فروق فردية بين الناس ، وأن الناس مقامات ودرجات ، كما في قوله تعالى : "وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم" (الأنعام: ١٦٥) وهذا التفاضل والتفاوت موجود أيضاً بين الأنبياء والرسل ، قال تعالى : "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات" (البقرة: ٢٥٣) . ويعد هذا التفاوت بين الناس ضرورة من ضرورات الحياة ، وبدونه يصعب تبادل المنافع والمصالح بينهم ، ويؤدي إلى عدم

توازن الحياة ، يقول الإمام علي : " لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فإذا استوتوا هلكوا " [٢١ ، ص ١٠٩] .

وقد عمل علماء المسلمين بهذا المبدأ ، وراعوا استعدادات الطلاب وميولهم وقابليتهم للتعلّم ، ووجهوهم نحو التخصصات التي تؤهلهم لها تلك الميول والقابليات ، وقد طبّق ذلك على الإمام البخاري ، حيث بدأ بتعلّم الفقه على يد محمد بن الحسن ، فقال له : اذهب فتعلّم علم الحديث . لما رأى ذلك ألبق بطبعه . فتوجه إلى علم الحديث ، فبرع في هذا العلم ، ولقب بإمام المحدثين [٢٥ ، ص ١٩٢] . كما كان يوسف بن حبيب يختلف إلى الخليل بن أحمد يتعلّم منه العروض ، فصعب عليه تعلّمه ، فقال له الخليل يوماً : من أي بحر قول الشاعر ؟ إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع .

ففطن لما عناه الخليل ، فترك العروض ، وأخذ يتعلّم النحو وقواعد اللغة حتى أصبح في ذلك عالماً مشهوراً [٢٥ ، ص ١٩٢] .

وقد أولت التربية الحديثة هذا المبدأ أهمية بالغة ، وجعلت طرق التربية والتعليم تعتمد على الصفات العقلية لكل فرد ، وهذه الصفات تختلف قوة وضعفاً بين الأفراد ، وأصبح لزاماً على المدرس الناجح أن يفرق بين طلابه من حيث طبيعة أجسامهم وحظهم من الذكاء وميولهم وأمزجتهم بحيث يمكن تزويد كل فرد بما يلائمه [٢٦ ، ص ٣٦] .

(٥) باب تحريض النبي ﷺ وفد عبداً لقيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا به من وراءهم ، وقال مالك بن الحويرث ، قال لنا النبي ﷺ : أرجعوا إلى أهليكم فعلموهم [٢ ، ص ٣٠] . ويستنبط من هذا الباب مبدأ ؛ وهو " التعليم للجميع " ، فالتعلّم في الإسلام حق للجميع ، فهو لم يقتصر على فئة دون أخرى ، ولا على طبقة دون طبقة ، أو فرد دون آخر . وأن حق التعليم وتزكية النفس

وتطهيرها ، والانتفاع بالتعلم لا يقتصر على غني أو فقير ، ولا على ذكر أو أنثى ، ولا على صغير أو كبير ولا على بصير أو كفيف ، مادام هذا الفرد عنده قابلية ورغبة للتعلم ، وهذا ما نلمحه في قصة الصحابي عبدا لله بن أم مكتوم ، كما في قوله تعالى : " عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنتفه الذكري " (عبس : ١-٤) .

رابعاً: رأيه في أساليب التربية :

(١) باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ، فقال ألا وقول الزور فما زال يكررها ، وقال ابن عمر : قال النبي ﷺ هل بلغت ثلاثاً [٢] ، ص ٢٣] . يشير الإمام البخاري إلى أسلوب هام في عملية التربية والتعليم ؛ وهو تكرار الجملة المفيدة لقصد الفهم ، ويستشهد البخاري على ذلك بحديث أنس عن النبي ﷺ قال : " أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه " [٢] ، ص ٣٢] ، كما يستشهد الإمام البخاري في هذا الباب بحديث يفهم منه أن التكرار يستعمل أيضاً لتأكيد مبدأ أو حكم شرعي أو حقيقة ، فعن عبدا لله بن عمرو ، قال : تخلف رسول الله ﷺ في سفر سافرناه ، فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فننادى بأعلى صوته ويلٌ للأعقاب من النار مرتين أو ثلاث [٢] ، ص ٣٢] .

ويعد هذا الأسلوب ؛ أي أسلوب التكرار والإعادة من أقدم الأساليب في التدريس ، فقد طبقه الصينيون قبل عام (٥٥١) ق.م ، حيث كانت التربية عندهم " تتم عن طريقة المحاكاة والتقليد والإعادة والتكرار " [٣٦] ، ص ٣٦] . وإذا كانت التربية الحديثة تقلل من شأن هذه الطريقة ، وتوصمها بأنها طريقة تقليدية عتيقة [١٢] ، ص ١٦] . فعلياً معشر المسلمين أن لا تتأثر بهذه الأفكار ، وأن نعطي من شأن استخدام هذه الطريقة في تدريس بعض المواد ؛ فعلى سبيل المثال من الطرق المفضلة

لتدريس القرآن الكريم هي طريقة التكرار والإعادة لكي نصل بالطالب إلى سلامة النطق الجيد . وإتقان مخارج الحروف ، وتقدير حروف المد [١٧ ، ص ٤٩] .

(٢) باب حفظ العلم ، وفي هذا الباب يشير البخاري إلى الحفظ كوسيلة من وسائل التعلم ، ويستشهد بالصحابي أبي هريرة ، وذلك لأنه كان أحفظ الصحابة لحديث رسول الله [٢٨ ، ص ٢١٤] . ويعتبر الحفظ من أهم أساليب العلم عند المسلمين ، نظراً لاعتمادهم على الذاكرة آنذاك أكثر من اعتمادهم على الكتابة ، وكانوا يفخرون بالعلم الذي " حوته الصدور " لا بالعلم الذي " حوته السطور " [٢٥ ، ص ١٨٥] . ومن هنا كره فريق من السلف الصالح من الصحابة والتابعين كتابة الحديث كيلا يتكل على الكتابة وحدها فتضعف ملكة الحفظ [٢٤ ، ص ٦٨] ، وكان الحفظ هو صنيع كل من روى الحديث من صحابة رسول الله ، ماعدا عبد الله بن عمرو بن العاص فقد كان له صحيفة يكتب فيها [١٣ ، ص ٣٠٤] . وقد طبق البخاري هذه الوسيلة في تعلمه ، وكان من أحفظ الأئمة لأحاديث رسول الله .

وإذا كانت التربية الغربية تقلل من شأن هذه الطريقة باعتبارها من الطرق التقليدية ، ولكونها تضعف الابتكار والتفكير لدى الطالب ، فإنها من الطرق الهامة في تدريس بعض المواد وخاصة القرآن الكريم . يرى أحد الباحثون أن من أهداف تدريس التربية الإسلامية أن يحفظ المتعلمون قدرًا من القرآن الكريم والحديث الشريف باعتبارهما أسس التشريع الإسلامي ؛ لأن المسلم في حاجة إلى حفظ جزء من القرآن وما يتيسر له من السنة في حياته الدينية ، ومن ناحية أخرى فإن من حق هذه النصوص علينا أن نحفظها في صدورنا بجانب حفظها في الكتب أو غير ذلك ، ضماناً لاستمرارها [١٧ ، ص ٥٨] .

ويرى بعض الباحثين أن هناك علاقة بين الفهم والحفظ والتذكر ، ويقول : " أن الفهم أساسي وضروري في الحفظ والتذكر ، ولكن الفهم غير كاف وحده

لilhفظ والتذكر ، ولا بد للمتعلّم من أن يبذل جهداً إضافياً لكي يحفظ ويتذكر في المستقبل ، إذن إقرأ لتفهم أولاً ، وإذا فهمت قرأت لتحفظ ثانياً ، ولكي تحتفظ بما حفظت للمستقبل تذكره عند الحاجة ثالثاً " [٢٣ ، ص ٣٥٨] ، إلا أن التربية الإسلامية لم تستخدم هذا الأسلوب في التدريس لكي تجعل الدارس كالبيغاء يردد ما يسمعه من الآخرين دون روية ودون فهم ، بل حذر الإسلام من ذلك كما في قوله تعالى : " ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسئولاً " (الإسراء : ٣٦) ، وحذر الإسلام أيضاً من حفظ العلم الذي لا يؤثر في سلوك الفرد ، والذي لا يترجم إلى سلوك يزاوله في حياته اليومية ، وقد ذم الله اليهود على تلك الفعلة ، قال تعالى : " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " (الجمعة : ٥) .

٣- باب القراءة والعرض على المحدث ، ويستشهد البخاري في هذا الباب برأي سفيان الثوري ومالك أنهما كانا يريان القراءة والسماع جائزا [٢٠ ، ص ٢٢] . وقد عمل بهذه الطريقة بعض علماء المسلمين ، وذلك بالسماح لطلابهم بالفتوى والرد على الأسئلة في حضرتهم ، وقد كلف زيد بن ثابت الحجاج بن عمر الذي كان يجلس عنده للتعلم ، بإفتاء رجل من اليمن حول مسألة التي وجهها لزيد بن ثابت ، وهي قوله : " إن عندي جوارى ليس نسائي اللائي أكن بأعجب إلى منهن وليس كلهن يعجبني أن تحمل مني أفأعزل ؟ " ، فقال زيد : أفته يا حجاج ، فقال الحجاج : غفر الله لك إنما نجلس إليك لتتعلم منك ، فقال : أفته ، قال الحجاج للسائل : " هو حرثك إن شئت سقيته وإن شئت عطشته " وكنت أسمع ذلك من زيد بن ثابت ، فقال زيد : صدق [٢٤ ، ص ١٢٢] .

وبجانب الطريقة المألوفة في التدريس ؛ وهي طريقة الإلقاء من قبل المدرّس والسماع من قبل الدارس ، يُستنبط من هذا الباب بأن البخاري يشير إلى طريقة

أخرى في التعليم ؛ وهي أن يكون الإلقاء من قبل الدارس والسماع من قبل المدرّس ، وهذه الطريقة تعطي الطالب فرصة التحدّث وعرض ما لديه من أفكار وآراء ، وتعيّنه على الاعتماد على نفسه ، ودور المدرّس في هذه الطريقة هو التوجيه والإرشاد والإيضاح والتفسير والتعليل والنقد وتقديم المعلومات عندما تقتضي الحاجة . وهذه الطريقة تتطلب من المدرّس الإمام الجيد بجميع جوانب الموضوع الذي يقوم بتدريسه ، لأنّ تصورات كل فرد تختلف . في بعض الأحيان - عن الآخرين في الموضوع الواحد ، وبالتالي سترد آراء ووجهات نظر متعدّدة ، فإن لم يكن المعلّم أهلاً للتدريس فسيقع لا محالة في حرج مع طلابه ، لأن الطلاب بهذه الطريقة هم الذين يسيرون الدرس بخلاف الطريقة الإلقائية التي يسير المعلم فيها الدرس .

وباستخدام هذا الأسلوب نكون قد جعلنا الطالب هو محور العملية التعليمية بدلاً من أن يكون المعلّم هو محورها في طريقة الإلقاء ، وهذا ما تنادي به التربية الحديثة [٢٥ ، ص ٥١٢]

٤. باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كيلا ينفروا ، ويستدل في هذا الباب بحديث عبد الله بن مسعود ، قال كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السّامة علينا [٢ ، ص ٢٥] ، يشير الإمام البخاري في هذا الباب إلى مراعاة التشويق وعدم التنفير من العلم . وأساليب التشويق التي دعت إليها التربية الإسلامية عديدة ومتنوعة ؛ كالتيسير على المتعلم ، وتحبيب العلم إليه ، وهذا ما يفهم من الحديث الذي أورده البخاري في الباب نفسه ، قال رسول الله ﷺ : " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " [٢ ، ص ٢٥] ، والابتعاد عما ينفر المتعلم كاستخدام الغلظة أو الشدة ، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة عن مربي هذه الأمة محمد ﷺ ، قال تعالى : " فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم " (آل عمران : ١٥٩) . وكذلك الابتعاد عن

الإطالة على المتعلمين في التعلّم كيلا تنفر الدارسين ، وتولّد عندهم الكراهية والسّامة من التعلّم :

وقد تنبّه علماء المسلمين إلى أسلوب التشويق ، ودعوا إلى العمل به ، قال عبد الله بن مسعود : " على العالم أن يحدث المتعلمين ماداموا يحدثونه بأبصارهم فإذا غضوا عليه أن يمسك " [٣٢ ، ص ٧٤] ، وقال علي بن أبي طالب : " أن القلوب تمل كما تمل الأبدان " [٢٤ ، ص ١٢٦] .

كما أقرّ علماؤنا الأوائل في التربية إثابة الصبي على كل فعل جميل يأتي به ، يقول ابن مسكويه : " ويمدح الصبي إذا ظهر شيء جميل منه ثم يمدح بكل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه " [١٤ ، ص ٢٧٤] . وإلى مثل هذا ذهب إليه علماء الغرب في التربية ، وعلى رأسهم (ثورندايك) الذي أكّد دور الثواب في تقييم السلوك في صورة شواهد تجريبية ثابتة في رسالته للدكتوراه [١٥ ، ص ٢٥] .

٥- باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه [٢ ، ص ٣٤] وذكر ابن حجر إن أبا ذر زاد على هذا الباب كلمة " فلم يفهمه " ، ويصبح " من سمع شيئاً فلم يفهمه فراجع " [٢٨ ، ص ١٩٧] ، وذكر البخاري في هذا الباب أن عائشة كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه . ويفهم من هذا الباب أنه ينبغي على طالب العلم استيضاح الأفكار والمعلومات ، وعدم الإكتفاء بسماع المعلومة دون فهمها ، بل لابد من الوقوف عليها ، ومعرفة حدودها وإزالة الغموض تماماً عن جميع جوانبها ، وبذلك تكون المعرفة واضحة في الذهن [٤٢ ، ص ١٠٤] .

كما يستنبط من هذا الباب أيضاً أسلوباً من أساليب التربية الإسلامية وهو أسلوب " التعزيز " ؛ أي ينبغي على المتعلم إعادة الدرس الذي تعلّمه لكيلا يُنسى . وهذا الأسلوب من الأساليب التي نفتقرها في تربيتنا المعاصرة لأن معظم الدارسين

آخر عهدهم بالكتاب أيام الامتحانات ، وبالتالي ينسون الشيء الكثير مما تعلموه في مدارسهم بعد تخرجهم منها

٦- لقد ركّز البخاري على أسلوب من أهم أساليب التربية والتعليم والذي يسهم في تنمية الاجتهاد لدى طالب العلم ، ويحرره من التقليد ومن الركود العقلي ، ألا وهو أسلوب الحوار " الأسئلة " . وقد أورد البخاري أبواباً عديدة حول هذا الأسلوب ، يود الباحث إيجازها في النقاط الآتية :

أ- باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ، ويستشهد البخاري في هذا الباب بحديث ابن عمر عن النبي ﷺ ، قال : " إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم حدثوني ما هي ، قال : فوق الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : فوق في نفسي أنها النخلة ، ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله ، قال : هي النخلة " [٢، ص ٢٢] .

وبجانب استخدام مربّي هذه الأمة محمد ﷺ أسلوب الحوار (السؤال) ليختبر ما عند أصحابه من العلم ، فقد استخدمه ﷺ في شد انتباه أصحابه حول شرح موضوع ما ، فنجد رسول الله ﷺ عندما أراد أن يعرف الغيبة لأصحابه ، قد بدأ بسؤال لشد الانتباه ، فقال : " أتدرون ما الغيبة ؟ " ثم شرع بعد ذلك في تعريف الغيبة ، فقال : " ذكرك أخاك بما يكره ، إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فقد بهته " [٥، ص ٢٨٤] .

كما أستخدم رسول الله ﷺ السؤال في بناء الموضوع الجديد على المعارف السابقة ، فطرح على أصحابه أسئلة عن أشياء سبق فهمهم لها ، فقال : " أي يوم هذا ؟ " قالوا : يوم حرام ، قال : " فأَيُّ بلدٍ هذا ؟ " قالوا : بلد حرام ، قال : " فأَيُّ شهر هذا ؟ " قالوا : شهر حرام . وبعد أن فرغ من تلك الأسئلة ، ربط الموضوع الجديد بالموضوع السابق والذي مشابه له في الحرمة ، فقال : " فإنّ دماءكم

وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا
" [٢] ، ص ٢٤]

وقد استطاع مربُّ هذه الأمة محمد ﷺ تثبيت تعاليم الإسلام في نفوس أصحابه عن طريق المنطق والعقل بواسطة الأسئلة في بعض المواطن ؛ والشاهد على ذلك أن رسول الله ﷺ عندما رأى تهافت الناس على مغامم الدنيا ومصالحها ، فحدث أنه مرَّ بجدي أسك ميت ، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال : " آيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ " فقالوا : والله لو كان حيًا كان عيباً فيه لأنه أسك . فكيف وهو ميت ؟ فقال : " فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم " [٣٥ ، ص ٩٣] .

وقد شاع استعمال هذا الأسلوب عند علماء المسلمين ، وكانوا يصفون السؤال بنصف العلم ، قال الإمام علي بن أبي طالب : " العلم خزائن ، ومفتاحه السؤال ، فأسألوا يرحمكم الله ، فإنه يؤجر فيه أربعة ؛ السائل ، والمعلم ، والمستمع ، والمحِب لهم [٤ ، ص ٩٢] . ويرى علماء المسلمين أن المعلم إذا لم يتح للمتعلمين أن يسألوه ويسألهم ينقص علمه ويتوقف غوه [٢٤ ، ص ١٠٨] .

والأسئلة من أفضل الوسائل التي تعين المعلم في تثبيت المعلومات في أذهان طلابه ، كما تساعده على ربط مواضيع الدرس بعضها ببعض ، كما تكشف له مدى فهم طلابه الدرس ، وعن طريق الأسئلة يمكن إشراك جميع التلاميذ في الدرس ، وشد انتباههم إليه ، واستثارة معلوماتهم العامة المرتبطة بالدرس [٢٦ ، ص ٢٢٢-٢٢٥] .

ب - باب من سُئل علماً وهو مشغول في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ، ويستشهد البخاري بحديث أبي هريرة ، قال : " بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه إعرابي فقال متى الساعة ؟ ، فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم بل لم يسمع ، حتى إذا قضى

حديثه ، قال : أين أراه السائل عن الساعة ؟ ، قال : هاأنا يا رسول الله ، قال : فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : كيف إضاعتها ؟ ، قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة . " [٢ ، ص ٢١] . ويستفاد من هذا الباب بأن على المعلم أن يؤجل إجابة السؤال الذي يطرح عليه أثناء الشرح إلى ما بعد الانتهاء من الشرح ، لأنه من المستحسن أن يكون شرح الموضوع مستمراً ، وخاصة إذا كان السؤال خارجاً عن الموضوع . أما إذا كان السؤال هاماً وضرورياً ، أوله علاقة بالفكرة التي يتحدث عنها المدرس ، ففي هذه الحالة يستحسن الإجابة على السؤال ثم مواصلة شرح الموضوع ، كما فعل رسول الله ﷺ حينما سُئل وهو يخطف فقطع خطبته وأجاب السائل ثم أتم الخطبة [٢٨ ، ص ١٤٢] .

ج - باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ، ويستشهد البخاري في هذا الباب بحديث ابن عباس " أن النبي ﷺ سُئل في حجته ، فقال : ذبحت قبل أن أرمي ، فأومأ بيده ، قال : لا حرج ، وقال : حلقت قبل أن أذبح ، فأومأ بيده ولا حرج [٢ ، ص ٢٩]

وفهم من هذا الباب أن الإجابة على السؤال بإشارة اليد أو الرأس في بعض الأحيان كافية ، وعادة تستخدم في الإجابة عن الأسئلة التي لا تتطلب تفسيراً أو توضيحاً أو تعليلاً من قبل المدرس . كما يستنبط من هذا الباب أيضاً استخدام الإيماءات (الإشارات) واللفظ معاً في أسلوب الحوار (الأسئلة) ، فإجابة المدرس التي تكون بالإشارة واللفظ معاً تعلق في ذهن الطالب أكثر من الإجابة باللفظ فقط . لأن المدرس في هذه الحالة يشرك حاستين من حواس التعلم في آن واحد ، فباللفظ يوقض المدرس حاسة السمع ، وبالإشارة يوقظ حاسة الإبصار ، وهذا الأمر يسر للطالب فهم الدرس ، فكلما زاد عدد حواس التعلم في موضوع ما زاد فهم الطالب له ، وهذا ما نلمحه في مفهوم بعض الآيات ، قال تعالى : " علم اليقين " (التكاثر :

٥)، وقال تعالى : " عين اليقين " (التكاثر: ٧)، وقال تعالى : " حق اليقين " (الواقعة : ٩٥) فالآية الأولى تعني ما علمه الإنسان عن طريق الخبر وبالسمع ، والآية الثانية ما شاهده وعينه بالبصر ، والآية الثالثة ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار ، فاشترك أكثر من حاسة لتعلم المعرفة يزيد من حقيقتها وصدقها لدى المتعلم .

د- باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله ، ويستشهد البخاري في هذا الباب بحديث ابن عمر عن النبي ﷺ " أن رجلاً سأله ما يلبس المحرم ، فقال : لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوباً مسه الورس أو الزعفران فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين " [٢، ص ٤٢].

من الطرق المألوفة في التدريس أن تكون الإجابة على حسب السؤال ، إلا أنه يستنبط من هذا الباب طريقة أخرى ؛ وهي إجابة السائل بأكثر مما سأله ، فينبغي على المعلم أن تكون إجابة السؤال شافية كافية لجميع الجوانب ، لأن السائل في حاجة إلى توضيح ذلك ، وكذلك في حالة انتباه جيد عما يقال في هذا الصدد ، وأن سؤاله علامة من علامات دوافعه لتعلم الشيء الذي سأل عنه ، وعلى المعلم أن يستغل سؤاله ، وأن يستغل الموقف التعليمي لتزويد الدارس بالمعرفة والمعلومات ، وهذا ما تنادي به التربية الحديثة ؛ وهي أن " المعلومات والنظريات والحقائق تأتي عرضاً ومتقطعة كلما دعت الضرورة إليها في تفسير موقف أو توضيح مشكلة " [٢٢ ص ٣٦٥] .

كما يفهم من هذا الباب طريقة الإجابة التي تعطي الطالب فهماً أوسع للمسألة التي سأل عنها ، فذكر المحذورات وتوضيحها وحصرها أكثر فائدة للطالب من ذكر المباحات ، لأن المباحات في كل جانب من جوانب الحياة عديدة ، والشاهد على ذلك ما تشير إليه القاعدة الفقهية "الأصل في الأشياء الإباحة" [٤١، ص ٦٥]

وهذا ما نلمحه أيضاً في أكثر من موطن في القرآن الكريم وهو حصر وتقييد وتوضيح الأشياء المحرمة وإطلاق الأشياء المباحة .

فلو سئل المعلم مثلاً عن الأطعمة المباح أكلها في الإسلام فإن الجواب الشافي والكافي لمثل هذا السؤال حصر الأطعمة المحرمة التي ورد ذكرها في القرآن ، لأن الأطعمة المحرمة تعدّ على الأصابع أما المباحة فيصعب حصرها .

٧- باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه ، ويستشهد البخاري بحديث رسول الله لعائشة ، قال : " يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم - قال ابن الزبير بكفر- لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين بابٌ يدخل الناس وباب يخرجون " [٢، ص ٤٠] . ومن هذا يفهم أن البخاري يشير إلى التيسير في بداية التعلّم ثم التدرج بالمتعلّم شيئاً فشيئاً .

وهذا الأسلوب ؛ أي أسلوب التدرج قد طبقه مربي هذه الأمة محمد ﷺ فبدأ بترسيخ العقيدة في نفوس أصحابه ثم التدرج بهم إلى ترسيخ الأحكام الشرعية بعد ذلك ، وهذا ما روته عائشة رضي الله عنها ، قالت : " إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل لاتزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً " [٢، ج ٦، ص ١٠١] . ومن وصايا أحد علماء المسلمين لطالبه في هذا الجانب ، قال له : " لا تكابر هذا العلم فإنما هو أودية فأيتها أخذت فيه قبل أن تبلغه قطع بك ، ولكن خذه مع الليالي والأيام " [٢٤، ص ١٠٤] .

وأسلوب التدرج يتطلب من المعلم أن يبدأ بتدريس المواضيع البسيطة لطلابه ، ثم ينتقل بهم شيئاً فشيئاً إلى المواضيع الأشدّ صعوبة ، وهذا ما ذكره ابن خلدون في مقدمته ، فقال : " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلّمين إنما يكون مفيداً إذا كان على

التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا ، بحيث يبدأ المعلم بمسائل الفن العامة وأصوله المجملية ، ثم يرفع به إلى الفن ثانية فيستوفي الشرح والبيان فيه ، ويخرج عن الإجمال ثم يرفع به ثالثة فلا يترك عوبصاً ولا مبهماً ولا منغلماً إلا أوضحه " [٧ ، ص ٥٣٣] .

٨. باب التناوب في العلم ، ويستشهد البخاري في هذا الباب بحديث عمر ، قال : " كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ، وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك " [٢ ، ص ٣١] .

والإمام البخاري يورد لنا طريقة في التعلم ضمن هذا الباب ، ونحن أحوج إلى تطبيقها في وقتنا الحاضر ، وخاصة في تعليم الكبار ، حيث هناك أعداد من الذين لهم الرغبة الشديدة في مواصلة تعليمهم ولكن عدم تفرغهم قد يكون عائقاً في ذلك . فطريقة التناوب تعتبر حلاً مناسباً ، ومن ثم يتم نقل ما تلقاه الحاضر من العلم إلى رفاقه الذين منعهم ظروف العمل من الحضور .

وإذا كانت التربية الغربية تشيد بطريقة " دالتن " التي استطاعت أن تقوم بتدريس ثمانية فصول ؛ وذلك بمساعدة الطلاب بعضهم بعضاً ، وقالت هذه المربية : " لقد كان أول اشتغالي بالتعليم بمدرسة ريفية بها أربعون تلميذاً في ثمانية أقسام في مستويات مختلفة ، وكان عليّ إذاً أن أعد عملاً يفرغ له سبعة من هذه الأقسام ، بينما ألقى درساً على القسم الثامن ، ولقد رأيت أن خير حل للمشكلة أن أعهد لكل تلميذ منهم بعمل يفرغ له ، إلى أن يتاح لي أن أشرف على ما قام به ، ولإنجاح هذه الطريقة ، رأيت أن أطلب إلى كبار التلاميذ مساعدة صغارهم ، وقد استجابوا لهذه الرغبة " [٩ ، ص ١٠] . وهذا ما ذهب إليه التربية الإسلامية قبل أربعة عشر قرناً .

٩- باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ، ويستشهد البخاري في هذا الباب بحديث أبي مسعود الأنصاري ، قال : قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان ، فما رأيت النبي في موعظة أشدّ غضباً من يومئذٍ ، فقال : " أيّها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالنّاس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة " [٢، ص ٣١] .

ويفهم من هذا الباب أن الإمام البخاري يشير إلى استخدام أسلوب الشدة في بعض المواقف التعليمية ، وهذا الأسلوب لا يتعارض مع الأسلوب - الذي سبق ذكره - والذي ينبغي على المعلم أن يكون رحيماً عطوفاً بطلابه ، والتربية الناجحة هي التي تجمع بين اللين والحزم ، فالمواقف التعليمية تستلزم اللين في مواطن ، وتستلزم الشدة في مواطن أخرى . وقد ضرب المثل الأعلى مربي هذه الأمة محمد ﷺ في الحزم والشدة عندما ترتكب حدود الله أو حرّماته كما في قوله : " إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضع ، ويتركون الشريف ، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها " [٢، ج ٨، ص ١٦] . فتسامح المدرس عندما يرى منكراً فعله الطالب ، يؤدي إلى نتائج وخيمة ، ووباء اجتماعي خطير على الطالب وعلى المجتمع . ومن ضمن الوصايا التي قالها الرشيد لمعلّم ولده ، قال : " ولا تمنع في مسامحتة ، فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطاعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة " [١٩، ص ١٩٢] .

وإن الرحمة بالمتعلّم والشفقة عليه مطلبٌ أساسي ، ولكن في الوقت نفسه يجب أن لا يصل ذلك إلى حد التدليل . إن ما نسمعه ونشاهده من عدم احترام بعض الطلاب للمدرس والتمرد عليه ، أو التعدي عليه قد يؤوّل ذلك إلى غياب الحزم والشدة مع تلك الفئة من الطلاب ؛ وأن تربية التدليل لا تولّد إلا جيلاً مائعاً .

فالمعلم ينبغي أن يتصف باللين والحزم في آنٍ واحد مع طلابه " وأن لا يكون قاسياً عليهم فينفرهم ويفقد لجوءهم إليه واستفادتهم منه والتفافهم الروحي حوله ، ولا يكون عطوفاً للدرجة الضعف فيطمعهم فيه ويفقد احترامهم له ومحافظتهم على النظام " [٢٦ ، ص ١٦٣] .

١٠- باب الخروج في طلب العلم ، ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد [٢ ، ص ٢٧] ، فقد قال جابر : بلغني عن رجل حديث سمعه من رسول الله ، فأشتريت بغيراً ، ثم شددت رحلي فسرت إليه شهراً حتى قدمت الشام ، فإذا عبد الله بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له جابر على الباب ، فقال : ابن عبد الله ؟ قلت : نعم . فخرج فاعتنقني ، فقلت : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ، فخشيت أن أموت قبل أن أسمع ، فقال : سمعت رسول الله يقول : " يحشر الله الناس يوم القيامة عراة " [٢٨ ، ص ١٧٤] .

يشير الإمام البخاري في هذا الباب إلى أسلوب من أساليب التربية الإسلامية ألا وهو أسلوب الرحلة . وقد ارتحل البخاري إلى عدد من الأقطار لطلب العلم . وقد اشترط بعض المحدثين على أن يرحل الطالب إلى المعلم ويصحبه ويأخذ العلم عنه مشافهة [٣٢ ، ص ٩٩] .

وقد ارتحل عدد من طلاب اللغة العربية إلى البادية ليقف الطالب على اللسان العربي الأصيل ، وكان بعضهم يرحل برحيل البادية وينزل بنزولهم ، ومن رحل إلى البادية : الخليل بن أحمد ، وبشار بن برد ، والكسائي ، والشافعي [٢٥ ، ص ١٥٢] .

ولا زال الخروج إلى طلب العلم قائماً حتى يومنا هذا . فالجامعات الإسلامية محط أنظار طلاب العلم وقاصديه من جميع أرجاء المعمورة لتعلم العلوم الدينية ،

كما لا يزال الابتعاث إلى الخارج - ولدول الغرب بالذات - يشكل القاعدة الأساسية وخاصة في المجالات والتخصصات النادرة .

خامساً : رأيه في النظام :

أورد البخاري عدداً من الأبواب تتعلق بهذا الموضوع ، ويمكن إيجازها في النقاط الآتية :

أ - باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ، ويستشهد في هذا الباب بما كان يفعله عبد الله بن مسعود ، فكان يذكر الناس في كل خميس [٢، ص ٢٥] يفهم من ترجمة البخاري أن تحديد أوقات العلم من الأشياء الهامة للمعلم والمتعلم على حد سواء ، إن تنظيم الأوقات له دور كبير في التحصيل ومن أهم العوامل المساعدة له [٤٣، ص ٧٣] ، فأوقات التعلم يجب أن تعرف من قبل المعلم والمتعلم ، وينبغي على كل منهما الالتزام والحضور في الموعد المحدد . ولأهمية ذلك في عملية التربية والتعليم نجد كافة المؤسسات التعليمية تهتم بمتابعة الحضور والغياب لمدرسيها وطلابها يومياً . فحضور الطالب والتزامه بمواعيد الدروس علامة من علامات نجاحه في الحياة العلمية . ولابد للإنسان الذي يريد أن يحقق هدفاً في الحياة أن يجبر نفسه على الخضوع للنظام ، يقول أحد الباحثين " إن التنظيم يكسب الإنسان قوة فائقة " [٣١، ص ٣٨٦]

ب - باب العلم والموعظة بالليل ، ويستشهد البخاري بحديث أم سلمة ، قالت : استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة ، فقال : " سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن ، وماذا فتح من الخزائن ، أيقظوا صواحب الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة " [٢، ص ٣٧] .

ويستفاد من هذا الباب أن أوقات التعلم ليست مقصورة على النهار فقط ، بل يجوز أن تكون بالليل ، وهذا ما فعله رسول الله . وهذا النظام معمول به في بعض مؤسساتنا التعليمية ، حيث تقوم بعملية التدريس ليلاً إضافة إلى التدريس نهاراً ، وقد حلّ هذا النظام بعض المشكلات ؛ مثل عدم توفر قاعات الدراسة بالنهار في بعض المؤسسات التعليمية ، نظراً لكثرة طلابها أو ضيق مبانيها ، أو عدم تمكن حضور طلابها بالنهار لانشغالهم ببعض الأعمال.

ج - باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، ويستدل في هذا الباب بحديث أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، قال فوقفا على رسول الله ﷺ ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله ﷺ ، قال : " ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه [٢] ، ص ٢٤] .

يفهم من هذا الباب أن حلقة التعلم مفتوحة لمن أراد أن يلتحق بها ، وليس لكل طالب علم مكان مخصص للجلوس فيه ، ويستحسن أن تملأ الصفوف الأولى من حلقة العلم ، ثم من أتى بعد ذلك يجلس حيث انتهت به الحلقة .

إن هذه الآراء التي تفهم من ترجمة البخاري هي ما تنادي به التربية الحديثة ، وذلك أن يأخذ الطالب المكان الذي يرغبه ما لم يسبب مضايقة لرفاقه أو مخالفة لتنظيم الإدارة ، وأن يلتزم طالب العلم بالهدوء عند دخوله الصف الدراسي والخروج منه ، وأن لا يؤذي الآخرين أو يشوش عليهم ، وعلى المعلم مراعاة استتباب الهدوء والنظام داخل الصف .

د - باب الإنصات للعلماء ، ويستشهد البخاري في بابه بحديث جرير ، قال : **إن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع : استنصت الناس ، فقال : " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض "** [٢ ، ص ٣٨] .

ويستنبط من هذا الباب أن من بين الآداب التي ينبغي على طالب العلم التحلي بها ، الإنصات للمعلم عندما يتحدث ، ومن واجب المعلم أيضاً أن ينصت طلابه قبل الشرح وهذه من أولويات الأعمال التي ينبغي عليه القيام بها في الحصة . وقد قال سفيان الثوري : **" أول العلم الاستماع ، ثم الإنصات ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر "** [٢٨ ، ص ٣١٧] . وهذه التوجيهات من المرتكزات الهامة في عملية التربية والتعليم ، وهي ما تسمى **" الانتباه "** ، ويقدر ما يكون طالب العلم منتبهاً بقدر ما يكون التعلّم جيداً .

هـ - باب من برك على ركبته عند الإمام أو المحدث ويستدل البخاري في هذا الباب بحديث أنس بن مالك ، قال : **" إن رسول الله ﷺ خرج فقام عبد الله بن حذافة فقال : من أبي ؟ فقال : أبوك حذافة ، ثم أكثر أن يقول سلوني . فبرك عمر على ركبته فقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، فسكت "** [٢ ، ص ٣٢] . ثم أورد البخاري باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً ، ويستشهد في هذا الباب بحديث أبي موسى قال : **" جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ؟ ، ما القتال في سبيل الله ؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً ، ويقاتل حمية ، فرفع إليه رأسه ، قال : وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائماً "** [٢ ، ص ٤٠] .

يفهم من هاتين الترجمتين جواز تلقي العلم جالساً أو قائماً ، أو ما شابه تلك الأوضاع وفي حدود الآداب . والمعلم عندما يقدم المعلومة في الهيئة والوقت المناسبين للطالب ، فإنه في هذه الحالة يعطيه حرية الحركة والنشاط داخل الفصل ، وبالتالي يعطيه الجرأة في التعبير عن سجاياه الحقيقية ، وبذلك يكتشف للمعلم

مواهب الطالب وميوله وسلوكياته . يقول أحد رواد التربية المعاصرة : " بدون هذه الحرية يستحيل على المدرّس أن يعرف الأفراد الذين وكل إليه أمرهم ، ذلك بأن الطاعة والهدوء المفروضين قسراً ، يحولان بين التلاميذ وبين التعبير عن سجايهم الحقيقية ، ويفرضان عليهم طابعاً واحداً مصطنعاً ، ويفضلان المظهر على المخبر ، ويضعان في المكان الأول من الاعتبار أهمية الاحتفاظ بالمظاهر الخارجية لانتباه التلاميذ وأدبهم وطاعتهم ، وكل من له خبرة بالمدارس التي كان يسودها هذا النظام يعلم جيداً أن الأفكار والتخيلات والرغبات وأنواع النشاط الماكر المخادع كانت تجري مجراها خلف هذا القناع دون أن يعوقها عائق ، ولم تكن تنكشف للمدرس إلا حين يؤدي عمل خارجي إلى الكشف عنها " [١٢ ، ص ٥٨٠٥٧] . والحرية هنا لا تتعارض مع ما أشار إليه الباحث في مراعاة استتباب الهدوء والنظام في الفصل .

و- باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال ، ويستشهد البخاري في هذا الباب ، بما فعله علي بن أبي طالب ، عندما أمر المقداد أن يسأل النبي عن المذي فسأله ، فقال : " فيه الموضوع ، [٢ ، ص ٤٢] . وإذا كان إعطاء الطالب الحرية من الأهمية بمكان ، إلا أنه في الوقت نفسه هناك بعض الطلاب يمنعمهم الحياء من التحدث مع المدرّس ، أو عرض استفساراتهم وأسئلتهم عليه ، أو الخوف منه ، أو قد يكون لديهم صعوبة في النطق أو ما شابه ذلك ، فمن الحلول المناسبة لهذا الموقف التعليمي ما أشار الإمام البخاري إليه في هذا الباب وهو الجواز لطالب العلم أن يأمر غيره بالسؤال عنه .

سادساً : رأيه في الأمانة العلمية :

١- باب ما يستحب للعالم إذا سُئل أيّ الناس أعلم فيكل العلم إلى الله ، ويستدل في هذا الباب بحديث رسول الله ؛ قال : " قام موسى النبي خطيباً في بني

إسرائيل فسُئل أيُّ الناس أعلم ؟ ، فقال : أنا أعلم ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه " [٢ ، ص ٣٩] . ويفهم من هذا الباب أن الإنسان مهما زاد علمه واتسعت معارفه سيظل محدود العلم والمعرفة عمّا هو في علم الله ، ومما قدّمه الإسلام إلى المنهج العلمي ، مبدأ " لا أدري " [٢١ ، ص ٢٦٣] ، وقد عمل علماء المسلمين بذلك ، فها هو مالك بن أنس عندما جاءه رجل ، فقال له : " يا أبا عبد الله جئتكَ من مسيرة ستة أشهر ، حملني أهل بلدي مسألة أسألك عنها ، قال : فسل ، فسأله الرجل عن المسألة ، فقال : لا أحسنها ، قال : فبهت الرجل كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء ، فقال : أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم ، قال : تقول لهم ، قال مالك : لا أحسن " [٢٤ ، ص ٥٣] .

فالعلم لا حدود له ، ولا يستطيع أي إنسان أن يلم به ، ثم أن المعلم لا حرج عليه عندما يسأله طلابه عن مسائل لا يعلمها ، ثم يجب بكلمة " لا أدري " ، وهذه الإجابة أفضل بكثير من الاجتهاد الخاطيء في الإجابة ، أمّا الأسئلة التي لها علاقة بالدرس الذي يقوم بتدريسه ، فالإجابة بكلمة " لا أدري " قد تؤدي إلى زعزعة ثقته في نفوس طلابه ، وقد يضعف تقديريهم واحترامهم له إن كثرت لديه . وعلى المعلم أن يلم بمادته ، وأن يكون كثير الإطلاع ، ميّالاً لإثراء معارفه ، وأن لا يقف بمعلوماته عن المستوى الذي حصل فيه على الشهادة [٢٦ ، ص ١٦٢]

٢- باب ما يذكر في المناولة ، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ، ويستشهد البخاري في هذا الباب بحديث النبي ﷺ " حيث كتب لأمير السرية كتاباً وقال : لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا ، فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي ﷺ " [٢ ، ص ٢٣] . وقال ابن حجر المناولة ؛ هي أن يعطي الشيخ الطالب الكتاب فيقول له : هذا سماعي من فلان ، أو هذا تصنيفي فأروه عني . والمكاتبه ؛ هي أن يكتب الشيخ حديثه بخطه ، أو يأذن لمن يثق به بكتبه ،

ويرسله بعد تحريره إلى الطالب ، ويأذن له في روايته عنه [٢٨ ، ص ١٥٤] . وقد اهتم علماء المسلمين بالأمانة العلمية في نقل العلم إلى الآخرين ، وعُرف عندهم ما يسمى بالإجازات العلمية قبل معرفة الشهادات الدراسية في العهد الأول للإسلام ، وهي تدل على المستوى العلمي لمن منحت له " إذ أن الشيوخ ما كانوا يمنحون الإجازة من هذا النوع إلا لمن كان ذا معرفة تهية له أن يجيد تدريس الكتاب المجاز به ، أو رواية الأحاديث المأذون له في روايتها ، ويشترط لصحة الإجازة أن يكون المجيز عالماً بما يجيز به ، ثقة في دينه وروايته ، معروفاً بالعلم ، وأن يكون المستجيز من أهل العلم ، متسماً بسمه حتى لا يوضع العلم إلا عند أهله " [١٨ ، ص ٢٦٧] .

إن هذه الآراء التي نستنبطها من هذا الباب تفتقر تطبيقها بعض المؤسسات التعليمية ، وتعد من أخطر ما تواجهه التربية والتعليم ، فهناك بعض جامعات الغرب ، قد تساهلت في منح الشهادات العلمية وخاصة لشباب الأمة الإسلامية [٣٧ ، ص ٨٧] ، ثم يناطون بمسؤولية نقل العلم والمعرفة بحكم الشهادات التي يحملونها ، ولكن كما يقال : " فاقد الشيء لا يعطيه " .

٣- باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، ويستشهد البخاري في هذا الباب بحديث علي ، يقول : " قال رسول الله ﷺ : لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار " [٢ ، ص ٣٥] . ويستنبط من هذا الباب أن من بين الأمانة العلمية ، بل من أهمها عدم الكذب وخاصة في كتاب الله وسنة رسوله ، لما يترتب على ذلك من أمر خطير في إخلال قوانين حياة الأمة الإسلامية وشرائعها . وقد حذر الله من ذلك ، قال تعالى : " فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم (الأنعام : ١٤٤) . وأخبر سبحانه أن الإنسان مسؤول عن كل ما يتحدث به دون تثبت أو روية صادقة ، قال تعالى : " ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا " (الإسراء : ٣٦) .

وعلى المعلم أن يلتزم الصدق في كل شيء وخاصة في نقل المعارف والمعلومات لطلابه من غير تحريف أو لبس أو غموض ، وعليه أن يجنب طلابه نقل ما لم تثبت صحته من المعلومات ، ومالا تتوفر لديه القناعة التامة بصحته . وأن مخالفته لذلك سترتب عليه نتائج سلبية " لأن الطلاب وخاصة الناشئين منهم يتأثرون بسلوك معلمهم كما يتأثرون بكلامه فهو قدوتهم في كل ما يقول ويعمل " [٣٨ ، ص ١٥٧].

سابعاً : رأيه في تعليم المرأة

١- باب تعليم الرجل أمته وأهله ، ويستدل في هذا الباب بحديث أبي بردة ، قال : قال رسول الله ﷺ " ثلاثة لهم أجران ؛ رجل من أهل الكتاب آمن بنبية وآمن بمحمد ﷺ ، والعبد المملوك إذا أدّى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعنتها فتزوجها فله أجران " [٢ ، ص ٣٣] . كما أورد البخاري باباً حول تعليم الرجل أهله ؛ وهو باب تحريض النبي وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ، ويخبروا من ورائهم ، وقال مالك بن الحويرث : قال النبي ﷺ : " ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم " [٢ ، ص ٣٠] . فمن واجب الرجل تعليم أهله ومن يعولهم .

٢- باب عظة الإمام النساء وتعليمهن ، ويستشهد البخاري في هذا الباب بحديث ابن عباس ، قال : " إن رسول الله ﷺ ، خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة " [٢ ، ص ٣٣] . ويستنبط من هذا الباب أحقية المرأة في التعلم ، وهكذا تمكنت المرأة من بلوغ أقصى درجات العلم والمعرفة في ظهور الإسلام ، وقد ترجم ابن حجر حياة (١٥٤٣) محدثة ، وقال عنهن إنهن كنّ ثقات عالمات [١٨ ، ص ٣٣٥-٣٣٦] . ومع أن الإسلام لم يجعل الجنس عائقاً للمرأة

دون تلقي العلم ، إلا أن التعليم بين النساء لم يكن منتشرًا انتشاره بين الرجال في بعض عهود خلت وكان السواد الأعظم من النساء غير متعلم [١٨ ، ص ٣٢٩] .

وجاءت التربية الحديثة موافقة لما جاءت به التربية الإسلامية في أحقية المرأة في التعلم ، وانتشر تعليم النساء وأصبح مساوياً أو مقارباً من انتشار تعليم الرجال ، وأثبتت بعض الدراسات أن قدرة المرأة على التعلّم لا تختلف عن قدرة الرجل ، حيث أن المرأة لا تقل ذكاءً عن الرجل [٢٣ ، ص ٣٢٨] .

ولم تعد مسألة تعليم المرأة مسألة خلاف ، وإنما الخلاف يكمن في الإفراط الزائد والمبالغة في تعليم المرأة ، وجعلها تلتحق بأي تخصص تريده ، مما قد يؤدي بالمرأة إلى ارتياد أعمال لا تليق بأنوثتها .

٣. هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم ، ويستشهد البخاري في هذا الباب بحديث أبي سعيد الخدري ، قال : " قال النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهنّ يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهنّ " [٢ ، ص ٣٤] .

وبجانب ما يدعو إليه هذا الباب من أحقية تعليم النساء كما للرجال أحقية في ذلك ؛ فإنه يستنبط من هذا الباب أيضاً قضية في غاية الأهمية بالنسبة لتعليم النساء ، وهي الفصل بين الرجال والنساء في التعليم ، مستشهداً الإمام البخاري بما فعله مربي هذه الأمة محمد ﷺ مع النساء ، حيث خصّص لهن حلقة مستقلة عن الرجال ، وحدد لهن موعداً . وسار على نهجه علماء المسلمين ، وذلك بفصل البنات عن الصبيان في التعلّم " وأن البنت لم تلتحق بالكتاب صبيّة ، ولم تجلس في حلقات الرجال شابة ، وكان الغالب أن تتعلم في المنزل عن طريق أحد أقاربها أو

بمؤدب يدعى لها " [١٨ ، ص ٣٣٢] . ومن هذا يتضح أن الفكر الإسلامي لا يجيز تطبيق التعليم المختلط في مؤسساتنا التعليمية ، وخاصة بعد سن التمييز .

ثامناً : رأيه في مكان التعلم .

لقد أورد البخاري باباً واحداً يتعلق بهذا الموضوع ، وهو ؛ باب ذكر العلم والفتيا في المسجد ويستشهد في هذا الباب بحديث عبد الله بن عمر ، قال : " إن رجلاً قام في المسجد فقال : يا رسول الله من أين تأمرنا أن نهل ؟ فقال : رسول الله يهل أهل المدينة من ذي الخليفة ، ويهل أهل الشام من الجحفة ، ويهل أهل نجد من قرن ، وقال ابن عمر ويزعمون أن رسول الله قال : ويهل أهل اليمن من يلملم " [٢ ، ص ٤٢] ويستنبط من هذا الباب أنه بجانب كون المسجد مكان عبادة ، إلا أن رسول الله ﷺ كان يستخدمه لتعليم أصحابه أمور دينهم ودنياهم ، فكان يعلم الجاهل ، ويفتي السائل ، ويعبر الرؤيا ، ويبين الأحكام ، وانطلق تعلم القراءة والكتابة من مسجد رسول الله ﷺ ، فكان مركزاً تربوياً . [٢٩ ، ص ٨٤] وتزايدت حلقات التعليم في المساجد تزايداً كبيراً ، وقد ضم بعض حلقات التعليم آلاف الطلاب ، مثل حلقة أبي الدرداء التي كانت تعقد في الشام ، وكانت المساجد عامرة بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه ، ودراسة العلوم الأخرى كالفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم .

ولا زالت المساجد حتى وقتنا الحاضر من أهم أماكن التعلم لما تقوم به من توجيه وإصلاح للناشئة .

التوصيات

في ضوء ماتم التوصل إليه، يوصي الباحث بمايلي:

١- أن يكون التفقه في الدين من أهم أهداف التربية في مجتمعنا المسلم، إن كان هذا الأمر من المسلم به لدى المربين المسلمين، إلا أنه مع الأسف الشديد لم يفهم هذا الهدف بمفهومه الواسع، ولم يطبق على كافة العلوم، وفي مختلف جوانب الشخصية كما ينبغي. وهذا الأمر أدى إلى فهم قاصر عن حقيقة الإسلام، ومن ثم أدى إلى ما يسمى "بالتخلف العقدي" الذي يعد أساس التخلف في حياة الأمة الإسلامية. والأمر يحتاج إلى إعادة نظر في الإجراءات الكفيلية لتحقيق هذا الهدف، ويأتي في المقدمة المناهج وطرق تدريسها.

لقد أكد البخاري مبادئ تربوية قيمة، وقد ذهبت التربية المعاصرة إلى تأكيدها والعمل بها، ومما يستنبط من أدلة البخاري على تلك المبادئ أن غالبيتها وصلت إلى درجة الوجوب، ومنها وجوب التعلم، وجوب التعليم، وجوب مراعاة الفروق الفردية، وجوب التيسير، وغيرها. ولهذا فإن إلزام المربي والمربي بها لم يقتصر على كونها واجب تربوي، بل واجب ديني أيضاً.

لقد أشار البخاري إلى عدد من أساليب التربية، وقد أشادت التربية الحديثة ببعضها وقللت شأن البعض الآخر، مثل التكرار والحفظ، وهذه الأساليب التي قد قللت التربية الحديثة من شأنها تتفق وخصوصيات تربيتنا الإسلامية. ولكن ينبغي تطبيقها وفق التوجيهات الصائبة، وأن يصاحب تلك الأساليب الفهم دائماً.

إن الأنظمة التربوية التي أشار إليها البخاري، وإن كانت أنظمة بسيطة وبدائية، إلا أنها لا تعد أساسية وهامة في وقتنا الحاضر، وأن العمل بها يسهم في نجاح العملية التعليمية، مثل استتباب الهدوء، والنظام بين الطلاب، وحضورهم في الموعد المحدد للدرس، والانتباه، وغير ذلك.

إن الأمانة مطلوبة في كل شيء، وخاصة في عملية التربية والتعليم، وعلى المعلم أن يتحرى الأمانة، والتحقق عن كل ما ينقله إلى طلابه من معارف

ومعلومات ، وخاصة في وقتنا الحاضر الذي كثر فيه تشويه الحقائق ، وبالذات في ثقافة الأمة الإسلامية.

إن تعليم المرأة حق من حقوقها كما أكد البخاري ، ولم يعد ذلك مسألة خلاف في تربيتنا المعاصرة ، وإنما الخلاف يكمن في كيفية تعليم المرأة وماذا تعلم. فينبغي أن تعلم المرأة التخصصات التي تؤهلها إلى الأعمال التي تليق بأنوثتها.

المراجع

- ١- الأهواني، أحمد فؤاد. التربية في الإسلام. القاهرة، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ.
- ٢- البخاري. صحيح البخاري. تركيا، استنبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م.
- ٣- البغدادي، إسماعيل باشا. هدية العارفين. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ٦، ١٩٥٥م.
- ٤- البغدادي، الخطيب. تاريخ بغداد. بغداد، المكتبة العربية، ج ٢، بدون تاريخ.
- ٥- البنا، أحمد عبد الرحمن. الفتح الرباني. (ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، القاهرة، دار الشهاب، بدون تاريخ).
- ٦- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. دراسة تحليلية لسياسة التعليم في المملكة. الرياض، ١٤٠٥هـ.
- ٧- ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، بدون تاريخ.
- ٨- ابن خلكان. وفيات الأعيان. بيروت، دار الثقافة، ج ٤، بدون تاريخ.
- ٩- دالتون. التربية على طريقة دالتون. (ترجمة زكيا ميخائيل)، ط ٣، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م.
- ١٠- أبو داود. سنن أبي داود. حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥٢هـ.
- ١١- ديوي، جون. المدرسة والمجتمع. (ترجمة أحمد حسن)، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤م.
- ١٢- ديوي، جون. الخبرة والتربية. (ترجمة محمد رفعت رمضان)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.

١٣- السباعي، مصطفى. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.

١٤- سبكي، أحمد. التربية الإسلامية. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م.

١٥- سيموندز، برسيغال. الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس. (ترجمة عبد الرحمن صالح عبد الله)، دمشق، دار الفكر التربوي، ١٩٧٤م.

١٦- السيوطي، جلال الدين. صحيح الجامع الصغير وزيادته. (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني)، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي.

١٧- الشافعي، إبراهيم. التربية الإسلامية وطرق تدريسها. الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠١هـ.

١٨- شلبي، أحمد. التربية الإسلامية. ط٧، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م.

١٩- شمس الدين، عبد الأمير. الفكر التربوي عند ابن خلدون. بيروت، دار اقرأ، ١٤٠٤هـ.

٢٠- شهلا، جورج، وآخرون. الوعي التربوي. ط٣، بدون ناشر، ١٩٧٢م.

٢١- الشيباني، عمر محمد. فلسفة التربية الإسلامية. ط٥، طرابلس، الشركة العامة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.

٢٢- الشيباني، عمر محمد. تطور النظريات والأفكار التربوية. ط٢، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٧هـ.

٢٣- عاقل، فاخر. معالم التربية. ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.

٢٤- ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله. (تصحيح ومراجعة عبد الرحمن عثمان)، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٨هـ.

- ٢٥- عبد الدائم، عبد الله. التربية عبر التاريخ. ط ٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٨م.
- ٢٦- عبد العزيز، صالح. التربية وطرق التدريس. ط ٧، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٣٩١هـ.
- ٢٧- عبيدات، ذوقان، وآخرون. البحث العلمي. عمّان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- ٢٨- العسقلاني، أحمد بن حجر. فتح الباري. بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
- ٢٩- الغامدي، عبد الرحمن بن حجر. مدخل إلى التربية الإسلامية. الرياض، دار الخريجي، ١٤١٨هـ.
- ٣٠- القاسمي، جمال الدين. كتاب حياة البخاري. بدون مكان النشر، مطبعة العرفان، ١٣٣٠هـ.
- ٣١- كاريل، الكسيس. الإنسان ذلك المجهول. (تعريب شفيق فريد)، بيروت، مكتبة المعارف، بدون تاريخ.
- ٣٢- الكيلاني، ماجد عرسان. تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية. ط ٢، عمّان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٣م.
- ٣٣- ابن ماجة. سنن ابن ماجة. (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وآخرون)، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون تاريخ.
- ٣٤- مرسي، محمد منير. فلسفة التربية. القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م.
- ٣٥- مسلم. صحيح مسلم. القاهرة، المطبعة المصرية، ج ١٨، ١٣٤٩هـ.
- ٣٦- ناصر، إبراهيم. مقدمة في التربية. الأردن، عمان، ١٩٧٩م.
- ٣٧- نجار، زغلول راغب. أزمة التعليم المعاصر. القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م.

٣٨. النحلاوي، عبد الرحمن. أصول التربية الإسلامية وأساليبها. دمشق، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٣٩. النحلاوي، عبد الرحمن. التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة. بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.
٤٠. الندوي، أبو الحسن علي. التربية الإسلامية الحرة. ط ٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ.
٤١. الندوي، علي أحمد. القواعد الفقهية. دمشق، دار القلم، ١٤٠٦هـ.
٤٢. يالجن، مقداد. أهداف التربية الإسلامية وغايتها. الرياض، مطابع القصيم، ١٤٠٦هـ.
٤٣. يالجن، مقداد. توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي. الرياض، دار المريخ، ١٤٠٢هـ.

Factors leading to student's transference among faculties In King Saud University

Abdul Rahman Bin Hajar Al-Ghamdi

*Assistant professor – Department of Education – Faculty of Education
King Saud University – Kingdom of Saudi Arabia*

Research Brief. This study aim at the determination of number of students transferred among faculties in King Saud University and the factors leading to their transference that has been explained in four aspects such as (university system , specialization, student and faculty teaching staff member).

In this study , the researcher depends on the questionnaire , official documents , records and statistics issued from the university , the researcher followed the number of the students who have been transferred among faculties during five semesters , beginning from the first semester ١٤٢٠/١٤٢١H , and ending with the first semester ١٤٢٢/١٤٢٣H. The questionnaire has been applied to (١٩٢), whom represented a part from the transferred students to the following faculties : education, business administration , engineering, computer and sciences.

The study results explained the number of students who have been transferred among faculties during the five semesters according to the faculties that interchange the transference.

Also the study results discovered the factors leading to the transference the student's, in addition to that revealed an existence of differences in the sample persons responses concerning some of the factors leading to their transference to the different faculties.

Moreover, the researcher presented many of the beneficial recommendations